وإن كان الفيلم عن فلاديمير بوتين من خلال مستشار له، أو، تحديداً، عن هذا المستشار من خلال تشابك قوى العلاقات التي يلعب في ساحاتها، كمستشار لبوتين، يبقى، الفيلم، مبنياً على شخصيات خيالية بظروف شخصياتية وتاريخية في روسيا هي واقعية تماماً. تدور حول صعود هذا المستشار المتخيَّل وأفوله، في ظل صعود بوتين من الأيام الأولى لانهيار الاتحاد السوفييتي.

فيلم الفرنسي أوليفييه أسياس، "ساحر الكرملن" (The Wizard of the Kremlin) مبني على رواية متخيلة عن مستشار، انتقل من هواية الإخراج المسرحي مع الانفجار الثقافي منتصف التسعينيات، ليصير مستشاراً وصانعاً أساسياً لسياسات الكرملن، بدهاء عالٍ.

لا ينقل الفيلم إذن شخصية واقعية إنما متخيَّلة في سياق واقعي، ماراً على أهم الأحداث التي عصفت بروسيا منذ انهيار الاتحاد السوفييتي إلى ما قبل غزو أوكرانيا، بدءاً من الحرب في الشيشان وانتهاءً بأولمبياد سوتشي. كاشفاً، الفيلم، بمزج الواقع بالخيال، عقلية بوتين وسلوكه، في الاستجابة لكل تلك المحطات.

لسنا هنا أمام وصف وسرد دقيقين، والفيلم في أوله يصرح بذلك. بل أقرب إلى مقاربة خيالية لتفسير واقع قائم. وصفٌ وسردٌ يمكّنان، بما يتيحه الخيال من حرية المقاربة، مقترباً من الحقائق ومبتعداً عنها، موغلاً ومحلّقاً، كما يفعل الأدب، يمكّنان من لامحدودية العناصر القصصية، ليكون العملُ استكشافياً بشكل لا تتيحه الحقائق المتوفرة. فالأدب والخيال أقدر، أحياناً، على سرد الواقع من الحقائق.

لا يلتزم أسياس بأسلوب سينمائي يميزه، بل يطير بين الأنواع والمواضيع. شاهدتُ فيلمه، "خارج الزمان"، العام الماضي في مهرجان برلين السينمائي، وكان في عالم مختلف تماماً عن فيلمه هذا المشارك في المسابقة الرسمية لمهرجان فينيسيا السينمائي. وفي السنوات الأخيرة نوّع في مواضيعه بشكل لا يجرؤ الكثير من السينمائيين على فعله، من الشخصيات التاريخية إلى النجوم مروراً بأناس عاديين، من الأحداث المحورية في العالم إلى اليوميات الهامشية لأفراد.

الفيلم تشويق كما هو سياسي، ممتع برغم قتامة قصة تحكي عن وصول بوتين إلى السلطة ورسوخه فيها. وهو، رغم

فينيسيا السينمائي: مستشار بوتين "ساحر الكرملن"

ذلك، لا يتقصد إدانة بوتين ضمن جوقة دعائية غربية مملة. بل ينقل، بما بدا أمانة أدبية، جانباً أسود لا من شخصيته وحسب، بل من عموم الطبقة الحاكمة في روسا ما بعد الاتحاد السوفييتي. ما يمكن، بسهولة، إسقاطه على عموم الطبقات المتحكمة بالمال والإعلام، بالابتزاز والترهيب، في كل العالم، شرقاً وغرباً.

الكاتب: سليم البيك